التأثير الثقافي الفينيقي غربيْ البحر المتوسط

The Phoenician cultural influence in the western Mediterranean

مكيد إبراهيم [1♦]، العود محمد الصالح [2]

[1] جامعة طاهري محمد – بشار brahim.makid@univ-bechar.dz

[2] جامعة قسنطينة laouddj@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2023/02/15	تاريخ القبول: 2023/11/26	تاريخ النشر: 2024/01/31

الملخص باللغة العربية:

قلّ ما نجد الدراسات التي تناولت التأثيرات بين المغرب القديم وشبه الجزيرة الايبيرية، وكل ما نجده عبارة عن دراسات لا تتعدى في مجملها السياقات السياسية والعسكرية والتي نعدها بكثرة في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الثاني قبل الميلاد، وعليه وددت في هذه الورقة البحث في السيرورة الثقافية والتي تشمل المجال الديني، إذ لدينا عدة نصوص للآلهة القرطاجية مثل بعل حمون و تانيت و عشترت مجسدة في العملات المعدنية الخاصة بمنطقتي مالقة وسيكسي، كما تبين لي وجود العديد من الأدوات الفنية مثل الوُريدة التي زُينت بها الحلي والدروع حسب تشكيلة كارامبولو، وكذلك الأقنعة الفينيقية الشهيرة في قرطاجة والتي اكتشفت في العديد من المدافن الايبيرية مثل مدافن بويغ- ديس- مولينس. وعليه سأحاول الإلمام بالموضوع قدر الإمكان وتسليط الضوء على زاوية من زوايا تاريخ المغرب القديم في مجال العلاقات الحضارية خاصة الثقافية منها بين ضفتي غرب البحر المتوسط والخروج عن الحيز المألوف والمتعارف عليه كالعلاقات السياسية والعسكرية.

الكلمات المفتاحية: بلاد المغرب القديم ؛ شبه جزيرة ايبيريا؛ الفينيقيون؛ الدين؛ الفن.

Abstract: We couldn’t find studies that have addressed the ancient cultural and religious intractions between Maghreb and Iberian Peninsula in the old. All we found were studies that mainly focus on political and military contexts, which are plentiful at the end of the third century B.C. Therefore, in this paper , I aim to

♦ المؤلف المرسل

explore the cultural sphere, including the religious domain, by examining various Carthaginian texts and iconography found in my region's currency Malaga and Seksi, as well as artistic tools such as the rosette used in adornments and shields according to the Carambolo formation. Additionally, I will shed light on the Phoenician masks discovered in several Iberian tombs such as Buig-des- Molins. There, Iwill try to familiarize myself with the topic as much as possible and highlight a historical aspect of encient Maghreb's civilizational relations, particularly in the cultural domain, between both shores of the Western Mediterranean, and beyond the usual and agreed upon relationships such as political and military ones .

Keywords: ancient Maghreb; Iberian Peninsula; the Phoenicians; Religion; the Art .

مقدمة: لعب البحر المتوسط دوراً هاماً عبر التاريخ بصفته همزة وصل بين حضارات العالم القديم، خاصة في الجزء الغربي منه أين تأتي أهمية هذا الموضوع كون الفينيقيون تمكنوا من تأسيس العديد من المراكز التجارية في ضفتيه الشمالية والجنوبية، ثم أخذت تلك المراكز فيما بعد طابع المستوطنات، وعلى غرار المنتوجات التجارية التي غزا بها الفينيقيون ضفتي المتوسط فإنهم ساهموا أيضاً في نقل ثقافتهم، وهذا هو هدفي في هذا الموضوع كون العديد من سفنهم التي حملت البضائع والأشخاص قد حملت الأفكار أيضاً، فأصبحت بذلك مدن شبه الجزيرة الايبيرية ومدن بلاد المغرب القديم تحملان طابعاً ثقافياً مشتركاً نستطيع التماسه في العديد من الجوانب كالدين بطقوسه وممارساته، والفن وأشكاله، وعليه اعتمدت في هذه الورقة البحثية على العديد من المصادر سواء كانت في الجانب الأدبي مثل : بوليبيوس و ديودور الصقلي و فيلون الجبيلي حيث أعطت تلك المصادر جانباً مهماً في توضيح العلاقات، إلا أنها بقيت عقيمة إلى حدما ولهذا اشتغلت في هذا البحث على الجانب المادي مثل: النصوص الجنائزية والكتابات المجسدة في النصب أو على جدران المعابد، أو تلك الصور المرسومة على وجهي العملات المعدنية (المسكوكات) وحتى الأقنعة التي نجدها في المدافن، كل هذا جعلني أتقصى الروابط الثقافية كون العديد من المؤلفين صنفوها ضمن الملفات المفقودة في العلاقات بين المنطقتين، ومن هذا المنطلق كان حريّ بي أن استخدم المنهج الوصفي التحليلي من أجل التعمق في هذا الموضع وبحث عن مستجدات هامة في تفسير العلاقات المغاربية الايبيرية قديما، فكانت الإشكالية التي ناسبت البحث كالآتي: هل يمكننا الجزم بأسبقية

التأثير الثقافي للشمال على الجنوب أو العكس؟ وللإجابة على هذه الإشكالية قسمت الموضوع إلى :

أولاً- بحث في مصادر الموضوع.

ثانياً- الروابط الدينية التي احتوت على الدين بطقوسه وأثاثه الجنائزي.

ثالثاً- المجال الفني الذي اشتمل على الفن بأشكاله.

1-مصادر الدراسة:

كان للفينيقيين أثر كبير في الضفة الغربية للمتوسط، حيث أنهم مثلوا أحد أهم العوامل المساهمة في التواصل بين بلاد المغرب القديم وشبه جزيرة إيبيريا، حتى أن المؤلفات الكلاسيكية لم تغفل عن ذكر اسهاماتهم الحضارية في المنطقتين، وقد تجلت في كتابات المؤرخين الآلهة الفينيقية والبونيقية ودورها داخل المجتمع، والاقتباسات الاغريقية والرومانية لأسماء تلك الآلهة، وقدم المؤرخون أيضاً معلومات عن المعتقدات الدينية والمعابد، ويعد أشهر المؤرخين الذين تحدثوا عن الحياة الدينية بإسهاب بوليبيوس[1]، ديودور الصقلي[2]، أبيانوس..إلخ، أما المؤرخ فيلون الجبيلي[3] فيعد أهم مصدر أدبي حول الديانة الفينيقية.

2- الروابط الدينية :

يعرض الباحث في العنوان الرئيسي الثاني محتوى النص ومراحل عمله وفق البناء المنهجي الذي اعتمده بالنظر إلى طبيعة الموضوع والتخصص العلمي، ويجب أن يحتوي على تمهيد للمسائل التي ستعالج فيه. أما الأشكال والجداول فينبغي ترتيبها داخل النص على شكل صورة حتى لا تضيع هيئتها العامة، ويتوجب ترقيمها وتمييزها بعنوان.

1.2-الآلهة :

---

1 - Polybe, Histoire Générale, trad:Félix Bouchot, Librairie-Editeur Charpentier, Paris, 1847.

2- Diodore de Sicile, Bibliothèque Historique, trad : Milo (A.F), Imprimerie Royale, Paris,1873 .

3- ابراهيم خليل خلايلي، مصادر البحث عن الحضارة الفينيقية البونية في تونس، رسالة شهادة الدراسات المعمقة، جامعة تونس، 1995، ص.70.

بادئ ذي بدء سأتطرق إلى الآلهة التي عرفت انتشاراً واسعاً في المنطقتين وهي كالآتي:

عشترت: ورد ذكر ملك عشترت في قرطاجة حوالي ق 03 ق.م، وأشير إليه في قادس حوالي القرن 02 ق.م. وفي لبدة الكبرى في نهاية القرن 2 ق.م وبداية القرن 01 ق.م. واندمج في الإله هرقل في هذه المدينة في العهد الروماني [4] .

بعل حمون: اعتبر الإله بعل حمون إلهاً شمسيا ويرمز له بحيوان الثور والذي يصور أحياناً وقرص الشمس

بين قرونه، وكان الجزء الأساسي في عبادته هو تقديم الأضاحي البشرية التي أتى على ذكرها الكتاب القدامى أكثر من مرة أمثال ديودور الصقلي [5]، حيث يذكر أن الأطفال المقدمين كقرابين يختارون من أسمى وأعرق وأنبل الأسر القرطاجية وأبناء الأغنياء منهم [6].

يروي هذا المؤرخ ماحل بالقرطاجيين بعد حملة الطاغية أغاثوكلس (Agathocle) السيراكوزي على مدينة قرطاجة بمساعدة الملك القوريني فيلاس في أواخر القرن4 ق.م (310ق.م) بعد حصار طويل وشديد[7]

انتقلت هذه العبادة الى اسبانيا حيث لوحظ شعار هذا الإله وهو دائرة شعاعية على نقود مالقة وسيكسي، ويحتمل أن يكون قد أقيم معبد لبعل حمون في مالقة أيًضا، لأن عملتها تحمل فوق صورة المعبد كلمة " sms" الأمر الذي يعتبر إشارة واضحة إلى إله الشمس، وكان لبعل حامون مكانته العالية في قرطاجية فكان من الطبيعي ان تنتقل المكانة والتقديس إلى الممتلكات القرطاجية في اسبانيا[8] .

---

4 أحمد الفرجاوي، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ، تونس ، 1993، ص.183 .

5يولي بركوفيتش شيركين، الحضارة الفينيقية في اسبانيا، تر: يوسف أبي فاضل، جروس برس، بيروت، لبنان، 1988.، ص19.

6 Diodore de Sicile, xx, 4- 6.

7 Ibid, xx, 5.

8 يولي بركوفيتش شيركين ، المرجع السابق ،ص 126.

يسمي بلينوس الرأس الواقع من قرطاجنة الجديدة رأس زحل (رأس بالوس حاليا) ، وبما أن هذا الرأس كان ضمن دائرة النفوذ البوني فإنه يمكن القول أن زحل بلينوس كان بعل حمون الفينيقي[9].

كما أشارت بعض الأخبار عن ظهور إله بعل حمون أثناء حصار القرطاجيين لقادس سنة 235 ق.م. نقلها إلينا المهندس اليوناني أثينوس الميكانيكي وفيتروفيوس ، وهما مؤلفان من النصف الثاني من القرن 01 ق.م[10].

تانيت : تعد الالهة تانيت من أكبر الآلهة التي عرفت انتشاراً واسعاً طال كل المناطق المحيطة بالبحر المتوسط والصحراء الكبرى خلال العصور القديمة ويفسر هذا الانتشار على قمة التواصل والحوار الديني الذي عكسته هذه الآلهة بإشكالياتها المتعددة والمتعلقة بنطق اسمها وأصولها ورموزها وطبيعتها وبقاياها [11].

وزاد انتشارها أكثر منذ النصف الثاني من القرن 5 ق.م إلى جانب بعل حامون حتى أصبحت تعرف بتانيت بنيبعل لكثرة ذكرها في النقوش رُفقته ، واحتلت بعد ذلك المرتبة الأولى منذ بداية القرن 04 ق.م وصارت تقدم لها الكثير من النذر والاهداءات[12].

ووضعت بأنها أعظم الآلهة وأم كل حي، وإلهة الخصب والقمر، وارتبطت كذلك بالطبيعة والحياة البرية والصيد، كما أنها اعتبرت إلهة زراعية توفر الأمطار وتسهر على

خصوبة الزرع[13].

---

9 Pline, Histoire. Naturelle, Ed : Emile Littré, Dubochet, Paris, 1850. III , 19.

10 ابراهيم مكيد، محمد كاكي ، العنصر الفينيقي في شبه الجزيرة الايبيرية في ظل الاحتلال الروماني (206 ق.م __ 80م) بين المواجهة والتبعية، ص ص.9_27، مجلة عصور الجديدة، مج.11، ع.3، 2021، ص. 14 ٠

11 مصفى الأعشى، الربة تانيت بين الأصل الأمازيغي والامتداد الشرقي ، مجلة المؤرخ ، ع ٠9، جامعة القاهرة ، مصر ، 2011، ص. 32 ٠

12 كيحل البشير، الحضور الديني البوني في نوميديا (418-146 ق م) رسالة ماجستير في التاريخ القديم ، جامعة الجزائر 2 ، الجزائر، 2011 ، 2012 ، ص111 ٠

13 كيحل البشير، المرجع السابق، ص111 ٠

وظهرت عبادة تانيت بشبه الجزيرة الايبيرية في نقش عُثر عليه في كهف بمعبد "أس- كويرا" في مدينة بيتيس على ظهر اللوحة البرونزية التي يحمل أحد وجهيها إهداء لرشف ملقرت ، يشير هذا النقش الذي يعود إلى حوالي **180** ق. م على ذكر سور بناه الكاهن "عبد اشمون" ابن ازر بعل على نفقته الخاصة "للسيدة الجبارة تانيت و هاغاد" وترتبط عادة الإهداءات للإلهة تانيت في قرطاجة بفصول بعل حمون نفسها، أما في قادس فنرى توحيدا بين هذه الآلهة والإله هاغاد- الذي يحتمل أنه بعل حمون- وقد تكون عبادة تانيت منتشرة في سائر المدن لأن بعض نقود قادس وسيكسي تحمل الرمز نفسه الذي نجده على التماثيل في "أس _كويرا" التي وجد بها حوالي **600** تمثال لتانيت كانت على شكل هلال مقلوب وفي الجزء المقعر منه دائرة أو نقطة[14].

ملقرت : شيد له معبد بقرطاجة حيث كانت ترسل قرطاجة في بداية عهدها عشر مداخيل الامبراطورية إلى ملقرت بصور ، عبد هذا الإله في المستوطنات الفينيقية و البونية في غربي المتوسط كقادس بإسبانيا ، طاروس بصقلية ، كذلك سميت مستوطنة باسمه في صقلية "رش ملقرت" أي "رأس ملقرت" [15].

2.2- العمارة الدينية والجنائزية:

المعابد: كانت للآلهة ملقرت و عشترت وبعل حمون في قادس أو بالقرب منها معابد خاصة بها وكذلك في مالقة وربما حتى قرطاجنة الجديدة هذه الأخيرة التي وجد بها كذلك على معبد للإله أشمون[16].

ويبرز دور المعبد في بناء الثقة المتبادلة بين السكان المحليين والوافدين الجدد- الجاليات الفينيقية-، إذ ارتبطت توسعاتهم التجارية بإنشاء المحطات والمراكز التجارية والمدن مع حضور معتقداتهم الدينية[17] .

القبور: في القرن 7 ق. م نرى المقابر الحجرية تظهر في المدافن الاسبانية وتتوافق مع أنواع كثيرة من المقابر في البحر المتوسط ، ومع ما يماثلها في صور وصيدا ، وهي

---

14 يولي بركوفيتش شيركين، المرجع السابق، ص ص. 125 - 126 .

15 أحمد الفرجاوي ، المرجع السابق ، ص 163 .

16 يولي بركوفيتش شيركين، المرجع السابق، ص. 128 .

17 فطومة أشلاق، الاقتصاد الفينيقي في البحر المتوسط (1200-332 ق م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2017 - 2018، ، ص ص. 141 -146 .

عبارة عن آبار يزيد عمقها عن (6م)، وهي مستوحاة من النموذج المصري ، وسرعان ما انتشرت عند الفينيقيين وأصبحت شائعة جداً في قرطاجة كما يمكن في بعض الأحيان الاستغناء عن البئر للوصول إلى القبر، حيث يتم ذلك من خلال منحدر أو درج ومثال ذلك ما هو موجود بجبل مليزة[18].

المدافن: تعرف اليوم عدة مدافن قديمة وقبور منفردة فينيقية اسبانية، فمدافن قادس تقع عند أسوار المدينة وتعود إلى الفترة الممتدة ما بين ق 5و3 ق.م ومقابر سيكسي كانت تقع على هضبة يفصلها نهر المدينة ، أما مدافن ايبسوس فكانت على الهضبة المجاورة المعروفة باسم "بويغ-ديس- مولينس" على بعد 200 متر من المدينة، وهكذا نرى أن المدافن الاسبانية كانت تبنى عادة وفق القواعد العامة التي كان يتبعها الفينيقيون في وطنهم الأم، وقد اكتشف علماء الآثار مدافن مدينة باريا التي تعتبر من الممتلكات القرطاجية المعروفة جيدا في شبه الجزيرة الايبيرية، حيث تعود بعضها إلى حوالي القرن 06 ق.م ، أما أغلبها فتعود إلى القرن 5 و4 ق.م أين دفن فيها ايبيريون وقرطاجيون على حد سواء [19].

3.2- الطقوس والأثاث الجنائزي:

القرابين: تقربت كل أمة إلى الهها، بنوع خاص من القرابين استرضاءً له ، واستدراراً لعطفه ورحمته، وكان الانسان قديماً يقدم القرابين لكل ظاهرة طبيعية يخشاها، لأنه كان يتصور الزلازل والفيضانات والعواصف والحروب ماهي إلا انعكاسات لغضب الآلهة فيبادر إلى تقديم القرابين لها حتى ترضى وتكف أذاها عنه[20].

كان الكهنة يقومون بالخدمة المباشرة للإلهة أو الإله وكان تقديم الذبائح في الأعياد يشكل القسم الأساسي في تلك الخدمة فخلال تقديم الأضحية البشرية كان المحكوم عليه يحرق حياً[21]، حيث كانت هذه الطقوس مرتبطة بالإله مولوخ (Molek)[22] التي تقضي

---

18 Shubart (H), Niemeyer (H.G), Trayamar, Los hipogeos finicios y el asentamiento en la desembocadura del rio Algarrobo, EAE 90,1976, p.197.

19 يولي بركوفيتش شيركين، المرجع السابق ، ص ص. 130 – 131.

20 هديل علي قاسم، القرابين في الديانة اليهودية، مجلة المعيار، مج . 23، ع. 4، الجزائر، 2019، ص. 110.

21 يولي بركوفيتش شيركين، المرجع السابق، ص 129.

بحرق الابن البكر خلال حالات الخطر أو حالات الحرب، وهي واجب على أمراء المدينة بتقديم أبنائهم عند الأخطار الصعبة والكوارث الطبيعية والأوبئة والصراعات [23]، والظاهر أن هذه العادة انتقلت من المؤسسين الفينيقيين إلى المحليين أثناء فترة التوسع الفينيقي[24].

وهي التي أدت لاحقاً إلى تصور إله لم يكن موجوداً دعي فيما بعد "مولوخ" كما قدمت الحيوانات كذلك كقرابين للآلهة لكننا نجهل نوعية تلك الحيوانات وطريقة تقديمها على الأراضي الإسبانية ، وما عرف هو أن ملقرت كان يطلب تضريح المذابح يوميًا[25].

ماهية الروح عند الفينيقيين: إن القيمة الأخروية التي زُينت بها جدران الغرف الجنائزية بمختلف المواقع الأثرية التي تم الكشف عنها هي أحسن شاهد على انتشار هذا المعتقد أثناء هذه المرحلة التاريخية، حيث وجدت بعض الرموز كفرس النهر والقلنسوة والأسطورة الفينيقية التي ارتبطت دوماً بالعالم الآخر ضمن سجل الزخرفة البونية بقرطاجة وكركوان وتمودا وغيرها من المواقع، وصل هذا التأثير إلى ايبيزا في شكل خاتم خنفسي يعود إلى القرن 5 ق. م، مما يدل على شدة التأثير السامي عليه إذ أصبحت المدافن متشابهة فيما بينها[26].

الدخان أو البخور: استخدم الدخان في الطقوس الجنائزية منذ بداية القرن 7 ق. م على الرغم من استعماله كقربان لآلهة، إلا أنه كانت له وظيفة عملية أخرى في ذلك الوقت وهي إخفاء رائحة تحلل الجثة اثناء الاحتفال بطقوس الجنازة. [27]

---

22 الأمين علي الأمين عبد العالي، القرابين البشرية عند القرطاجيين، المجلة العلمية للدراسات التاريخية، والحضارية، (د، ع)، جامعة السيد محمد علي السنوسي الإسلامية ، ليبيا ، 2019، ص. 116 .

23 نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة في بلاد المغرب القديم، ط. 1، المغرب، 2017، ص. 228 .

24 الأمين علي الأمين عبد العال، المرجع السابق، ص. 117 .

25 يولي بركوفيتش شيركين، المرجع السابق، ص. 129 .

26 محمد بن عبد المؤمن ، عقائد ما بعد الموت عند سكان بلاد المغرب القديم ، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم ، جامعة وهران ، الجزائر ، 2011- 2012 ، ص ص. 106 - 111 .

27 Ramos Sainz (L), Estudio sobre el ritual funerario en las necropolis fenicias y punicas de la Peninsula Ibérica, Madrid, 1990, p110.

الجعل أو الجعران: ويعود سبب اختيار هذه الحشرة من طرف البونيين، ومن قبلهم المصريين القدامى لأغراض دينية وسحرية بحكم طبيعتها وسلوكها.

أصبحت لها قوة طلسمية رافقت الميت داخل قبر، كان البونيون في البداية يشترونها من مصر، ثم أصبحت في قرطاجة منذ القرن 5 ق.م، وقد صنعت من الأحجار الصلبة والهشة ومن اللازورد وعجينة الزجاج والطين، حيث يحتفظ متحف قرطاجة وباردو بتونس على مجموعة الجعارين التي شاع استخدامها بعدة محطات ومواقع بالحوض الغربي للمتوسط كسردينيا واسبانيا وجزر البليار[28].

طقس حرق الميت: خلال عامي 1962 و 1963 في مدافن "لاوريت" التي دفن فيها سكان مدينة سيكسي، تم الكشف عن مقابر ضمت بقايا إحراق جثث الموتى كما عثر في مقابر مماثلة في مدن الأموات "حردين" و"ترايامار" وتعود عمليات الدفن تلك إلى القرن 7ق.م وربما جزئيا إلى القرن 8 ق.م وهنا تجدر الإشارة إلى أن إحراق جثث الموتى لم يكن ميزة الفينيقيين الإسبان وحدهم، فقد استعمل مثل ذلك الأسلوب في بلاد المغرب القديم، ففي قرطاجة مثلا كان يلجأ إلى الإحراق عند دفن الأشخاص في هضبة "يونونا" في القرنين 7 و 6 ق.م ولوحظ الطقس نفسه في مدافن رشقون في الجزائر أما فيما يتعلق بالفينيقيين الشرقيين فلم يعثر حتى الآن لا في فينيقيا ولا في قبرص على أية أدلة لإحراق الجثث[29].

أما لطيفة التهامي أندش لها رأي آخر أن هذا الطقس كان مقام في بلاد المغرب القديم حتى قبل التواجد القرطاجي في المنطقة حين اشارت للملك الليبي هيرباص (Hiarbas) وأسرته حين كان له ابنة تسمى "أسبتى" التي أقام لها جنازة وبموجبها تم حرقها[30].

اللافت للنظر في شبه الجزيرة الايبيرية هو التفضيل الواضح لحرق الجثث حين كان الدفن هو الطقس المنتشر في جميع انحاء العصر البرونزي، ومع ذلك فإن الحقيقة

28 محمد بن عبد المؤمن، المرجع السابق، ص ص. 114-115 .

29 يولي بركوفيتش شيركين، المرجع السابق، ص 132 .

30 لطيفة التهامي أندش، العقائد الجنائزية في قرطاجة 814 ق م — 146ق م، اطروحة دكتوراه في الآداب والتاريخ القديم، جامعة عين الشمس، مصر، 2018، ص. 116 .

هي أن الحرق كان موجوداً من قبل وبتكرار أكبر مما كان متوقعاً، وفي منتصف القرن 09 ق. م بدأ التعايش معه[31] .

يبدو أن الحرق كان أكثر انتشاراً في الجنوب من الأراضي الايبيرية الفينيقية عكس قرطاجة أين كان يحدث خلاف ذلك مع غلبة المدافن فيها، وبشكل عام يتم حرق الجثة في محارق (مرامد) مخصصة لهذا الغرض داخل المقبرة، أو الحرق المباشر في القبر نفسه، بعد الاحتراق يتم جمع العظام المتبقية وتنظيفها وإدخالها في جرة أو في القبر الذي سيكون وجهة الميت النهائية. [32]

الأعياد: من الأعياد الدينية التي كان يحتفل بها الفينيقيون الإسبان فقد عرف العيد الذي كان يقام على شرف الإله ملقرت في قادس فقط[33].

الأثاث الجنائزي: إن أبرز ما في الأثاث الجنائزي هو ذخيرة الخزف ذو اللون الأحمر، وهو الأكثر شيوعاً في فينيقيا، ومن بين أهم ما في هذا الأثاث نجد طبق بفم ثلاثي يحتوي على السوائل المتعلقة بطقوس الإراقة وبجانبه أباريق، هذا ما لوحظ بقوة في مقبرة "تيرو- الباس" (Tiro-A-Bass)[34] الذي يضاف إليها المرمر، وتحتوي على زيوت تستعمل في تطهير الجثة، بالإضافة إلى الفوانيس حيث من الضروري عدم وجود ضوء. لكن يتم استخدامها كرمز له لتنير طريق الميت في العالم الآخر، كذلك حاويات خزفية للطعام دون احتوائها عليه فعليا، حيث كانت وظيفتها تغذية روح الميت الذي ذهب حسبهم ليعيش في مدينة الموتى الممثلة في المقابر[35].

وقد تمكن العلماء لاحقا من العثور على خزفيات وأقراط وتمائم وتماثيل للآلهة مصنوعة من الطين في اسبانيا، وهي الأشياء نفسها التي تم العثور عليها في مدافن

---

31 Sader (H), Nécropoles et tombes phéniciennes du Liban, Pp.13 _ 30, Cuadernos de Arqueologia Mediterranea 1,1995, p, 30.
32 Gasull (P), El sistema ritual fenicio : inhumavion e incineracion, Pp, 71_ 82, Madrid Mitteilungen 34, 1993., p80 ·
33 يولي بركوفيتش شيركين، المرجع السابق، ص 129.
34 Aubet (H), Nunez (F.J), Trelliso (L), La necropolis fenicia de Tiro_ Al Bass en el contexto funerario oriental, Pp 43_ 61, Huelva Arqueologica 20, 2004, p. 49.
35 Ramos Sainz , op. cit , 69.

قرطاجة، كذلك لا يغفل ن هذه المدافن كانت تؤرخ عامة بكتابة نصب تذكاري، على غرار ما كان يحدث في قرطاجة[36].

ونجد كذلك بيض النعام ضمن قائمة الأثاث الجنائزي، إذ كان يرمز لنشأة الكون الفينيقية، والتي فسرت أصل العالم من القوة التوليدية للبيضة، يمكن أن تكون كاملة أو في شكل حاويات، وعددها كثير جداً في قرطاجة ومليئة بالمغرة الحمراء، توضع بجانب رأس الميت، أما في شبه الجزيرة الايبيرية فهي ليست وفيرة إذا ما استثنينا مقبرة "فيلا-ريكوس" التي تعود إلى القرن 6 ق.م، وقد قيل أن وجود بيض النعام بكثرة يعود الى التأثير المتزايد لقرطاجة عليها.[37]

إلا أنه تم إدخال عناصر جديدة في العربة الجنائزية فعلى سبيل المثال آلة الحلاقة الشائعة في الجهاز القرطاجي، والغائبة عن شبه الجزيرة الايبيرية طوال الفترة القديمة[38].

3-المجال الفني:

1.3-أدوات الزينة:

تمثلت أدوات الزينة عند الفينيقيين والبونيقيين فيما يلي:

الوريدة: استخدمت الوريدة (عقدة على شكل وردة) في زخرفة الحلي، تتكون هذه الوريدة من ثلاث سطوح دائرية موضوعة فوق بعضها البعض، زينت بها كذلك الدروع حسب تشكيلية كارامبولو (Carambolo) ووجدت زخارف مماثلة أيضاً في إفريقيا القرطاجية كما استعملت في القرن 6 ق. م ألوان متعددة ومتناوبة للوريدة كاللون الأخضر، الرمادي، الأحمر الداكن وكان هذا التباين الشديد يضفي عليها نوعا من البرقشة التي تبدو أنها كانت تروق لهم، وهذا راجع كله للتأثير القرطاجي.[39]

الأقنعة: اكتشفت في مدافن "بويغ-ديس مولينس" بقادس نوعان من الأقنعة الفخارية والتي تمثل وجوه نساء ورجال اتسمت أحياناً بالهدوء والطيبة، وأحياناً بالضجر

---

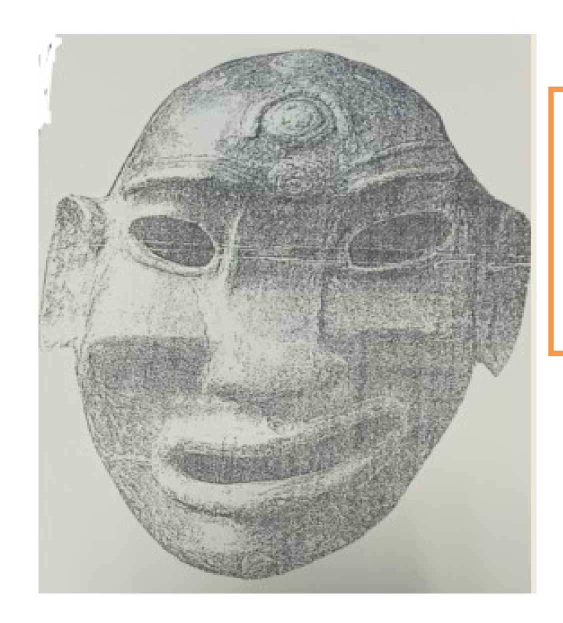
36 يولي بركوفيتش شيركين، المرجع السابق، ص 138 .

37 Prados Marting (F), Los Finicios, Madrid, 2007 , p. 151 .

38 Ramos Sainz , op. cit , p.80 .

39 يولي بركوفيتش شيركين، المرجع السابق، ص ص. 183–184 .

والبشاعة والتشويه إلى جانب تفاصيل أخرى كالوشم، وليس في الأقنعة القابسية أي شيء جديد إذا ما قورنت بنظيرتها في قرطاجة[40]. ينظر الشكل رقم 01.



الشكل 01: قناع فينيقي من طين.

المرجع: ابراهيم خليل خلايلي، المرجع السابق

ص.111.

الأقراط: بدأت التجارة القرطاجية والقابسية بالازدهار في شبه الجزيرة الايبيرية بعد التجارة مع قادس، وليس من أثر للاستيراد القرطاجي حتى أواخر القرن 6 ق.م وجل ما يمكن ملاحظته هي تماثيل صغيرة غير دقيقة من الطين المشوي عثر عليها قبالة كرمونا في مدافن تعود إلى القرن 6 ق.م، وتشهد الأقراط التي عثر عليها في أوتيكا، وهي شديدة الشبه بالأقراط القادسية على العلاقة القرطاجية القادسية[41]، بالإضافة الى استراد قرطاجة للحلفاء اللازمة لصناعة الحبال[42].

البخور والمباخر: استخدم البخور – كما أشرنا سالفاً- لتطهير الجثة من روائح تحللها، واستعمل كقربان للإله ومن المؤكد أن ذلك البخور كان يوضع في مباخر خاصة

40 نفسه، ص ص. 187 - 191 .

41 يولي بركوفيتش شيركين، المرجع السابق، ص 90 .

42 Gsell (S), H. A. A. N, tome 5, Ed: Librairie Hachette, Paris, 1920, p. 136.

والمرجح أنها كانت مصنوعة من الزجاج ففي القرنين 3 و 4 ق. م زاد انتشار المباخر القرطاجية التي لها شكل رأس امرأة حيث تم العثور عليها في بعض القرى الاسبانية[43].

النحت: الملاحظ أن امتزاج النحت الاسباني المحلي مع التأثير القرطاجي، انتج لنا نحتا وصف بأنه ايبيري، وأشهر أمثلة عنه هي آثار كيرو لوس سانتوس (Cerro-de los-Santos) كما كثر الجدل حول نسبة الأشياء المكتشفة في منطقة كيرو بريف في أليكانت وفي ريف مرسيه (Murcie)، حول بعض القطع المشكوك فيها، إلا أنها شملت مجموعة من تماثيل بديعة، ومن أكثرها طرافة تمثال امرأة موجود في متحف مدريد وتمثال نصفي لفتى عثر عليه في مدينة إلتشي (Elche)[44]. الواقعة على الساحل الجنوبي لأليكانت، وكان محفوظ إلى زمن قريب في متحف اللوفر بفرنسا، ومثل هذه الآثار الفنية مصبغة بالتأثير القرطاجي أكثر بكثير من انصباغها بأثر المراكز التجارية اليونانية، وتاريخها يمكن أن يحدد بفترة ممتدة ما بين القرنين 5 ق. م و 2 ق.م[45].

الخزف: لقد احتلت صناعة الخزف مركزاً مهماً في مهن المدن البونية الاسبانية خاصة ما يسمى بالخزف الأحمر وهو عبارة عن أواني طغى عليها بعض الشيء الطلاء الأحمر اللماع، حيث كان يكسو سطحها بكامله و أحياناً من الداخل فقط، وتنتمي إلى هذا النوع من الخزف جميع الأدوات من صحون، كؤوس، قدور، أباريق وقناديل، أظهرت الحفريات في منطقة طنجة الحالية التأثير الكبير الذي تركه الفينيقيين الإسبان على السكان المحليين فيما يتعلق بالخزف الأحمر، حيث لوحظ في جميع المقابر العائدة إلى الفترة الممتدة ما بين القرن 8 و 5 ق.م والتي كان أوجها في القرن 6 ق.م، تجدر الإشارة أنه في قرطاجة توقف استعمال الخزف الأحمر حوالي 600 ق. م في حين ظل يصنع في شبه الجزيرة الايبيرية والشمال الغربي الإفريقي حتى القرن 2 ق.م وربما إلى القرن 1 ق.م حين زاحمته المنتجات الايطالية[46].

كما كان هناك نوع اخر من الخزف وهو الخزف ذو الطلاء الأسود يؤرخه موريل بالقرن الذي سبق سقوط قرطاجة، وكان موزع في كل المنطقة الممتدة بين قرطاجة

---

43 يولي بركوفيتش شيركين، المرجع السابق، ص 90 .

44 كونتنو (ج)، الحضارة الفينيقية، تر: محمد الهادي شعيرة، شركة مركز كتب الشرق الاوسط، القاهرة، 2001، ص. 214.

45 نفسه، ص214 .

46 يولي بركوفيتش شيركين، المرجع السابق، ص 84 .

وأمبورياس (Ampurias) مرورا بأليكانت وفالنسيا (Valence) وبدأ انتشار هذا الفخار في هذه المنطقة بالذات قبل توسعات آل برقة ليتواصل حتى سقوط قرطاجة[47].

الخزف الأوتيكي: ومن المتعارف عليه أن بداياته تعود إلى القرن 6 ق.م والذي عرف رواجاً كبيراً خاصة في الجنوب الشرقي لإسبانيا، وهو انتاج عملت بعض الورشات الموجودة أساساً في قرطاجة وباليرمو على تقليده.[48]

وتعتبر مدينة رشقون بوهران غرب الجزائر أبعد نقطة شرقية على الساحل الإفريقي يمكن فيها ملاحظة العلاقة مع جنوبي اسبانيا، ففي مدافنها التي تعود إلى الفترة الممتدة ما بين القرنين 7 و5 ق.م عثر على خزف قادسي المصدر[49].

التماثيل: عثر العلماء الآثار في جزيرة أوبيتيوس حيث بنى القرطاجيون قابس في القرن 7 ق.م على العديد من التماثيل الطينية، وتعتبر هذه التماثيل تماثيل طقسية وهذا لا يتعارض مع استخدام بعضها في الحياة اليومية كمصابيح، ويجدر القول أن التماثيل الخزفية ظلت تصنع في قرطاجة حتى العصر الروماني. [50]

الجرار: تعود أقدم الجرار أو الخوابي التي عثر عليها في كارامبولو وباريا ومقابر سيكسي وقابس بإسبانيا وإفريقيا إلى القرنين 7 و6 ق.م وهي غير كبيرة طولها من 50- 60سم ، وقطرها من 30- 40سم ، وعلى خلاف الجرار اليونانية فهي بدون عنق، وهي شبيهة بالكيس والقعر المستدير، وأحياناً نصف كروي، وهذه الأوعية مستوية بشكل غير كامل، وهي رمادية ضاربة إلى الزرقة ، ومن الداخل صفراء باهتة لها لون الطوب، أما الأوعية العائدة إلى القرنين 6 و5 ق.م، فهي شديدة الشبهة بالسابقة عنقها مائل أكثر وشكلها أطول وأبعادها أكبر، كما أنها مشوية شواء أفضل.

تتميز مقابض كلا النوعين بأنها دائرية المقطع، أو على شكل حدوة ويلتحم الطرف العلوي لهذه المقابض بنقطة التصاق العنق بالجذع، أما الطرف السفلي فيلتحم بالنقطة الأكثر تقعراً في الجذع، ويتراوح قطرا المقابض في النوع الأول ما بين 12- 25ملم ، أما في

47 الشاذلي بوروينة، ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص ص. 235 - 236 .

48 نفسه، ص 235 .

49 يولي بركوفيتش، المرجع السابق، ص 91 - 92 .

50 يولي بركوفيتش، المرجع السابق، ص 188.

النوع الثاني فما بين 20 و32 ملم، ومنها ينحدر بما يسمى بالأباريق الكنعانية، وينسب كلا النوعين إلى ما يسمى بالنموذج "A" من الخوابي الايبيروبونية[51].

الأمواس: يعتبر هاردين أن ما يطلق عليه بالأمواس (الشفرات) البرونزية كان بونياً أكثر من أي نوع آخر في الفن الفينيقي، وأغلب الظن أن الموس القابسية قديمة قدم معظم المصنوعات القرطاجية.[52]

والمقصود هنا بالأمواس البرونزية هي الفؤوس النذرية التي تصادفنا في قرطاجة وقابس، وهي عبارة عن ألواح برونزية عريضة تتسع إلى الأسفل، مقبضها أشبه برأس عصفور طويل العنق له منقار معكوف، ويزين هذه الموس نقش، أما النموذج القابسي فترى عليه هيئة امرأة مصرية الطراز في ثياب شفافة مزينة بالأزهار تتجه إلى الجهة اليمنى وتعزف على آلة الدف[53]. ينظر الشكل رقم 02.



الشكل 02: نماذج أمواس فينيقية

المرجع: ابراهيم خليل خلايلي، المرجع السابق، ص ص. 156-157.

51 نفسه، ص 85.

52 Harden Donald, The Phoenicians, Ed: Pélican paperback, E.1, London,1962, p.204.

53 Garcia(A), Bellido, Colonizaciones punica y griega, Historia universal dal arte hispanico, Tome 1, Madrid, 1947, p. 147.

2.3-الكتابة "الأبجدية":

لا يمكن هنا أن نغفل بعد كل ما تم ذكره آنفاً على قدسية الكتابة" الأبجدية" الفينيقية التي تغلغلت بطريقة معينة، واستعملت كعنصر من عناصر الحماية الدينية إلى جانب الهيروغليفية المصرية، حسب ما دلت عليه الآثار في السواحل الجنوبية الشرقية لإسبانيا، وتضمنت هذه النصوص تهديداً لأي شخص يجرؤ على ازعاج الميت وإيقاظه من النوم ويبدو أن هذه النصوص كانت متجذرة في ثقافات البحر المتوسط بما في ذلك فينيقيا والمناطق التابعة لها في غربي المتوسط[54].

فعلى سبيل المثال استخدم مصطلح "cm" من قبل سكان شبه الجزيرة الايبيرية، وهو يدل أو يرمز إلى المدينة ويعني "الشعب" وفق المعنى الأساسي، و"جماعة" حسب النقوش البونية، في المقابل هناك رأي يقول أن "cm" في البونية لا تعني جماعة (مدينة)، بل "عامة الشعب" ويقابله " المواطنون" أما في قادس يعني هذا المصطلح جميع المواطنين[55].

الخاتمة:

من خلال ما تم دراسته في هذه الورقة البحثية تبين أن التأثيرات الفينيقية في غربي البحر المتوسط شملت المجالين الديني والثقافي على غرار الجوانب الأخرى – الاجتماعي، السياسي، الاقتصادي – والتي تم التطرق إليها من طرف الباحثين في هذا الشأن خاصة الجانب الاقتصادي للفينيقيين أين أخذ هذا الأخير حصة الأسد من الدراسات السابقة، كذلك يتضح لنا أن الفينيقيين كانوا بمثابة حلقة وصل تربط الضفتين مع بعضهما البعض وهذا لا ينفي وجود هذه العلاقة قبل مجيئهم في نهاية الألف الثانية قبل الميلاد بل تؤكدها.

صحيح أن الآثار المادية المكتشفة سواء ببلاد المغرب القديم أو شبه الجزيرة الايبيرية في المجال الديني كمعابد الآلهة (بعل حمون، ملقرت)، طرق الدفن، بقايا الترميد، الاثاث والطقوس الجنائزية، وفي المجال الفني كالأقنعة، والخزف وحتى الكتابة كل هذه البقايا شكلت لنا صورة حول الاتصال والتواصل بين المنطقتين في الفترة الفينيقية ومدى التثاقف والتفاعل والتي تارة تكون الضفة الشمالية هي الأصل فيها وتارة

54- Ramos Sainz (L), op cit, p110.

55 يولي بركو فيتش، المرجع السابق، ص 76.

أخرى تكون الأسبقية للضفة الجنوبية، وبالتالي لا يمكننا الجزم أن إحدى الضفتين كان لها الفضل على الأخرى إلى حين ظهور حفريات جديدة.

قائمة المراجع:

1-باللغة العربية:

- إبراهيم خليل خلايلي، مصادر البحث عن الحضارة الفينيقية البونية في تونس، رسالة شهادة الدراسات المعمقة، تونس: جامعة تونس، 1995.
- إبراهيم مكيد، محمد كاكي: "العنصر الفينيقي في شبه الجزيرة الايبيرية في ظل الاحتلال الروماني (206 ق.م _ 80م) بين المواجهة والتبعية"، **مجلة عصور الجديدة**، جامعة وهران، الجزائر، ع.3، مج.11، 2021، ص ص.9_27 .
- الأمين علي الأمين عبد العالي: "القرابين البشرية عند القرطاجيين"، **المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية**، جامعة السيد محمد علي السنوسي الإسلامية، ليبيا، 2019.
- الفرجاوي أحمد ، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ، ، 1993.
- فطومة أشلاف، الاقتصاد الفينيقي في البحر المتوسط (1200-332 ق م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، الجزائر: جامعة الجزائر2، 2018.
- كونتنو (ج) ، الحضارة الفينيقية، تر: محمد الهادي شعيرة، مصر: مركز كتب الشرق الاوسط، 2001.
- كيحل البشير، الحضور الديني البوني في نوميديا (418-146 ق م)، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، الجزائر: جامعة الجزائر 2 ، 2012.
- لطيفة التهامي أندش، العقائد الجنائزية في قرطاجة 814ق م — 146ق م ، اطروحة دكتوراه في الآداب والتاريخ القديم ، مصر: جامعة عين الشمس، 2018.
- محمد بن عبد المؤمن، عقائد ما بعد الموت عند سكان بلاد المغرب القديم، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، الجزائر: جامعة وهران، 2012.
- مصطفى الأعشى: "الربة تانيت بين الأصل الأمازيغي والامتداد الشرقي"، **مجلة المؤرخ**، جامعة القاهرة، مصر، ع.9، 2011.
- نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة في بلاد المغرب القديم، المغرب: ط.1، 2017.
- هديل علي قاسم: "القرابين في الديانة اليهودية"، **مجلة المعيار**، الجزائر، ع.4 ، مج.23 ، 2019، ص ص 108-118.
- يولي بركوفيتش شيركين، الحضارة الفينيقية في اسبانيا، تر: يوسف أبي فاضل، لبنان: جروس برس، 1988.

2-باللغة الأجنبية:

-Aubet (H), Nunez (F.J), Trelliso (L), La necropolis fenicia de Tiro_Al Bass en el contexto funerario oriental, Huelva Arqueologica 20, 2004.

-Cuadernos de Arqueologia Mediterranea 1,1995.

-Diodore de Sicile, Bibliothèque Historique, trad.: Milo (A.F), Imprimerie Royale, Paris,1873 .
-Gasull (P), El sistema ritual fenicio : inhumavion e incineracion.
-Gsell (S), H. A. A. N, tome 5, Ed: Librairie Hachette, Paris, 1920.
-Pline, Histoire. Naturelle, Ed : Emile Littré, Dubochet, Paris, 1850. III , 19.
-Polybe, Histoire Générale, trad:Félix Bouchot, Librairie-Editeur Charpentier, Paris, 1847.
-Ramos Sainz (L), Estudio sobre el ritual funerario en las necropolis fenicias y punicas de la Peninsula Ibérica, Madrid, 1990.
-Shubart (H), Niemeyer (H.G), Trayamar, Los hipogeos finicios y el asentamiento en la desembocadura del rio Algarrobo, EAE 90, 1976.